التلفيق في الادب العبري

Kostler, Arthur; *La Tour d'Ezre,* Paris: Colmann-Lévy, 1974, 434 Pages.

حفل هذا القرن بكتّاب يجرون وراء الاحداث الكبرى؛ بعض عن انتساب صميمي وايمان ثوري وبعض رغبة في المغامرة للمغامرة او سعياً وراء الشهرة: هيمينغواي، مالرو، لوركا، استورياس يزودا، وكثيرون سواهم. منهم أرثر كوستلر الذي نحن في صدد الحديث عنه.

هنغاري الاصل، يهودي الديانة. ولد سنة ١٩٠٥. بعد ان شبَّ، رحل واهله الى انكلترا وتجنس بالجنسية البريطانية. وكتب كل آثاره باللغة الانكليزية، منذ بداية شبابه.

ظهرت على اولى كتاباته الميول الشيوعية واضحة، وبخاصة في الفترة التي كثر فيها اليهود في القيادات الشيوعية. ولمّا قامت الجمهورية الاسبانية وطردت الملك الفونسو الثالث عشر، تحمّس لها حماساً شديداً، حتى اذا انقض عليها الجنرال فرانكو اشترك في القتال ضده وقاتل حتى سقوط مدريد.

من هناك رحل الى الاتحاد السوفياتي، فوصله في نهاية المحاكمات الشهيرة؛ وما لبث ان غادره معارضاً له وكتب «ظلام في رابعة النهار»، الرواية التي ترجمت الى الفرنسية بعنوان «الصفر واللانهاية». ويكاد يجمع النقاد على أن هذا الكتاب هو أهم ما كتب كوستلر. أمّا أنا، فأعتقد بأن أهميته جاءت من ترويج الرأسمالية له. وأرى أن أهم ما كتب هو «برج عذرا» ومجموعة المقالات التي تحمل اسم «اليوغي والكومبير»، وبخاصة المقالة التي تحمل ذات العنوان.

عندما قرأت «الصفر واللانهاية» كان حكمي انه يهودي ينضم الى اليهود الذين خرّبوا في الاتحاد السوفياتي؛ كل الذين أعدموا بنتيجة تصفيات سنة ١٩٣٦ وما تلاها هم يهود. ويبدو ان معركة ستالين معهم ظلت مستمرة حتى موته، بل أذهب الى انها ما زالت قائمة.

بعد ان غادر الاتحاد السوفياتي، جاء فلسطين مع من جاءها من عشيرته وعمل مع جماعة الارغون في بناء المستعمرة التي تحمل اسم الكتاب والتي هي في الواقع «عين غيف». ولقد ظل محافظاً على هذا الاتجاه حتى سنة ١٩٦٧، حين أعلن ان اليهودي أصبح حراً في اختيار وطن له بين الارض التي يقيم عليها أو اسرائيل التي يجب، آنئذٍ، ان يرحل اليها، وان تلغى ازدواجية المواطنة، فيخلص لوطن اقامته أولاً.

ان الذي حفزني الى كتابة نقد لهذه الرواية هو احتواؤها على الافكار الصهيونية حول انشاء الدولة في جو التحدي للعرب، والحقد عليهم، دون رياء ولا مواربة.

يبدأ باهداء الرواية الى جابوتينسكي ورفاقه في عين غيف، ثم يستهلها بجملة لأحد أوائل بناة المستعمرات: «اننا ندع الحياة القديمة التي صارت كريهة لدينا ونبدأ مرة أخرى، من البدء. ان ما نريده ليس تغييراً أو تحسيناً. نريد ان نبدأ من البدء».

يلاحظ القارىء، منذ البدء، ان كوستلر يمتّ الى تنظيم حزبي (هو الارغون)، وانه يبشّر بأفكار يحاول نفسه تكريسها، وانه يدعو ـ حزبه ـ الى الانفصال، والى الابد، عن النموذج اليهودي المعروف في التاريخ: صورة